مخاطر ظاهرة التطرف الدينى على الأمن القومى

بناء على ماتشتمل عليه ظاهرة التطرف الدينى من التعصب الأعمى لمعتقداتهما الخاصة، وماتستتبعه من أحداث تتصف بالعنف والإرهاب، وماتهدف إليه من قلب لأنظمة الحكم الحالية لإقامة نظامها الخاص بها، فإن مخاطرها لاتقتصر فقط على منطقة محلية محصورة ولا على فترة زمنية محددة، وإنما تمتد آثارها إلى خارج حدود مصر، ومن الممكن أن تستمر لعشرات من السنين القادمة.

وفيما يلى محاولة لرصد أهم المخاطر، التى تنذر بها ظاهرة التطرف:

١- إيقاف مشروعات الحداثة التى بدأتها مصر ودول المنطقة العربية المحيطة بها، منذ قرنين، فى مجالات الإدارة، والتصنيع، والتعليم، والصحة، والدفاع... الخ.

٢- تعميق محيط الفجوة بين الغرب والدول العربية (والإسلامية) بما يؤدى إلى قطع معوناتها المادية والفنية اللازمة لعمليات البناء والصيانة الضرورية لهذه الدول، وذلك بسبب طرح مقولات متعصبة تعيد إحياء جذوة العداء التقليدى الذى كان موجودا لفترة طويلة بين الغرب والمسلمين.

٣- تحريض الشباب وإقناعه بعدم المشاركة الفعالة فى عمليات البناء والتنمية والدفاع باعتبارها تابعة كلها لنظام يصفونه بالكفر، وبالتالى من الواجب عدم التعاون معه، بل العمل على الإطاحة به.

٤- القضاء على دور المرأة الإيجابى فى نهضة المجتمع الحديث، وهو الدور الذى حاربت، وحارب المجتمع معها، لكى تقوم به، وتحصل على ثمراته، وذلك بعد عهد طويل جدا من إهمالها، وقصر نشاطها على مجال ضيق للغاية.

٥- انتهاج سبيل العمل الإرهابى الخاطف والمفاجئ الذى يستهدف كبار المسئولين فى الدولة، ويتعرض له العديد من أبناء الشعب الأبرياء، ويحدث الكثير من ضروب التدمير والفوضى فى سير النظام العام.

٦- استقطاب العمل السرى الذى تمارسه الجماعات المتطرفة لقطاع مهم من المجتمع، وحرمان النشاط العام من جهودهم وعطائهم الذى يتبدد فى محاولة تحقيق أهداف متعارضة تماما مع أهداف وتطلعات المجتمع المعاصر.

٧- احتمال تسرب الفكر الدينى المتطرف إلى القوات المسلحة والشرطة: أمر وارد، وهو فى ظل الظروف الاجتماعية والإدارية والاقتصادية القائمة حاليا ليس مستحيلا.

٨- فى مصر بالذات، توجد أقلية مسيحية (كبيرة) تسوؤها كل مظاهر التطرف الدينى لدى الجماعات الاسلامية، وتشعرها بعدم الأمان على حياتها ومستقبلها، مما يؤدى إلى إرعاب جزء هام من أجزاء الأمة، وعزله بالتالى عن المشاركة الحقيقية فى تحقيق الآمال القومية.

٩- زيادة حدة التطرف الدينى لدى المسلمين يحدث رد فعل مضادا لدى جماعات التطرف الدينى لدى المسيحيين (وقد سبق أن شاهدنا حرب الملصقات والمجسمات فى السيارات بين المسلمين والأقباط، التى لم تتوقف إلا بقرار حاسم من الحكومة).

١٠- يتطلب العصر الحديث اجتهادات عقلية واسعة المدى من العقل البشرى لمواجهة ما يعترضه من مشكلات مفاجئة، وأزمات طارئة. والمتطرفون الدينيون يتمسكون بنصوص قديمة لعلماء سابقين، كما أنهم يفهمون من القرآن والسنة فهما ضيقا وخاصا بهم وحدهم، وهم فى ذلك أقرب إلى الاتباع والتقليد اللذين يتعارضان أساسا مع الاجتهاد والإبداع.

١١- يتطلب التعامل مع ظاهرة التطرف الدينى وما ينشأ عنه من إرهـــاب جهدا كبيرا جدا من الحكومة. ولاشك أن هذا الجهد يؤثر سلبيا علـــى باقى مجهوداتها الأخرى فى مجالات التنمية والإصلاح.

١٢- تعرقل ظاهرة التطرف الدينى وما ينشأ عنها من أعمال عنف وإرهاب مسيرة الإصلاح الاقتصادى، بل إنها تعمـــل علـــى تقويـــض أعمـــدة الاقتصاد الأساسية فى المجتمع (وصف البنوك بأنها ربويـــة وبالتـــالى عدم التعامل معها إيداعا وقرضا).

١٣- زعزعة استقرار النظامين: التعليمى والتربوى فى البلاد، وذلك بتوجيه الاتباع لتعلم أشياء معينة، تدور كلها حول تقويض نظام الحكم الحـــالى وإقامة المجتمع المنشود لديهم، مع جعل أمير الجماعة هـــو مصـــدر التعليم والتربية بدلا من المدرس فى المدرسة، والأستاذ فى الجامعة.

١٤- تنشئة أفراد الجماعات المتطرفة على الطاعـــة المطلقـــة، والتعصـــب المغلق تجعل منهم قنابل موقوتة يمكن توجيهها لأى هـــدف وفـــى أى وقت دون حساب للخسائر المادية والأرواح، مما يجعل المجتمع يعيش حالة خوف وقلق دائمين، ولاشك فى أن هذا يؤثر علـــى الاســـتقرار، الذى هو أساس عملية التنمية.

١٥- تزويد أتباع الجماعات الدينية بالإشاعات التى تحدث البلبلة بين طبقات الشعب وخاصة فى لحظات الأزمات (كما حدث أثناء الزلزال عندمـــا أشيع أن سببه الحقيقى زيادة الفساد فى الطبقة الحاكمـــة) وتحريـــض التلاميذ والطلاب على رفض بعض مسلمات نظام التعليم (رفض تحية العلم باعتباره توجها لغير الله، وعدم القيام للمدرس احتراما على أساس أن الصحابة لم يكونوا يقومون للرسول (ص) مـــع أن تحيـــة العلـــم المقصود بها تنشيط همم الطلاب فى الصباح، والقيام للمدرس ليس إلا نوعا من تركيز الاهتمام استعدادا لتلقى الدروس).